واحدة **او مجموعة دول** ، واذا ما أعطيت هذه الدولة المعادية الوقت الكافي لاستغلال مواردها ، فلا بد ان تواجه خطرا بالغا ». (هنري كيسنجر، دفاع عن المناطق الرمادية) » . **المصدر نفسه** .

ويرى الجغرافيون السياسيون ان مثل هـذا الخطر هو أكثر ما يكون وضوحا في علاقة اوروبا الممكنة بالبلدان الواقعة جنوب البحر الابيض المتوسط حيث يوجد نحو ٧٠ ٪ من احتياطي الطاقة العالمي والكثير من موارده المعدنية .

كان البحر الابيض المتوسط منذ عصر الفينيقيين هو الطريق البحري الامبريالي التاريخي الى ثروات افريقيا وآسيا . وكانت مناطق الخلفيـة تزود الامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والعربيـة والعثمانية بالموارد البشرية والمادية ، ووفرت هذه الموارد للفرنسيين والبريطانيين . وفي الاعـوام الاخيرة غان النقص الفعلي والمحتمل في هذه المواد الخام (مثل النفط والغاز والفوسفات والنحاس الاحمر الخ) ، الضرورية للاقتصاديات الصناعية ، قد زاد الى حد هائل من الاهمية الاستراتيجيـة للبلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . ولا يمكن لدولة رئيسية تجتهد للمحافظة على مركز هيمنتها ان تنظر الى السيطرة عـلى انتاج وتوزيع هذه المواد الخام الا كعامل حاسم . ولذا انتقلت بؤرة الصراع العالمي من أجل السلطة في السبعينات من المحيطين الاطلنطي والباسيفيكي الى البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

ان ثلاثة من الاشباح الاربعة التي ذكرنا انها تنتاب هنري كيسنجر — الاتحاد السوفياتي ، قوى التحرير الوطني ، وفقدان وسـائل التأثير على اوروبا واليابان — تتركز الى الجنوب من البحر المتوسط . ويقول كاتبا سيرة حياته المعجبان به (مـارفين وبرنارد كالب) ان للدكتـور كيسنجر « تصورا رؤيويا لتغير محتمل « في ميزان القوة الاستراتيجي » في تلك المنطقة ، (مارفين كالب وبرنارد كالب ، **كيسنجر** ، بوسطن : ليتل ، براون وشركاهما ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٢) . وتنظر واشنطن بخوف شديد الى ازدياد النفوذ الروسي هناك . وهكذا عندما شاع خبر وجود الطيارين والصواريخ الروس في مصر في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، هدد الدكتور كيسنجر الوفاق ، وفي مناسبتين متعاقبتين لشرح خلفية الاخبار ، هدد « بطردهم » . كما انه يعتبر وجود قوى راديكالية وثورية في المنطقة مثيرا للقلق الى الحد ذاته . وقد هدد نيكسون بالتدخل مباشرة في الشرق الاوسط وقام بأكبر عرض للعضلات في ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧٠ ، خلال حرب الملك حسين مع الفلسطينيين . والامر الذي يدعو الى السخرية هو ان نيكسون وكيسنجر ارتكبا أسوأ فظائعهما في الهند الصينية حيث كانت القـوة الاميركية تتقهقر. الا ان عروضهما الاكثر دراماتيكية في سياسة شفير الحرب ، بما في ذلك اعلان انذار نووي على نطاق العالم ، وقعت في المنطقة حيث مصالح اميركا الاستراتيجية (وتورطهـا العسكري المحتمل) آخذة في الاتساع .

في ما يتعلق باوروبا نجد ان البلدان التي يحدها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي تحمل وعدا وخطرا في نظر الانصار المتحمسين للتفوق والسيطرة الاميركيين . واذا كان باستطاعة الولايات المتحدة ان تحفظ سيطرتها في تلك المنطقة ، وتضطلع بدور الحارس على انتاج وتوزيع النفط والمواد الخام الاخرى الضرورية للاقتصادين الاوروبي والياباني ، فانهـا تكون قد حافظت على وسيلة تأثير فعالة ازاء حليفاتها . والى ذلك تكون قد ضمنت امدادات الطاقة التي يحتاجها الاستهلاك الاميركي . ومن جهة اخرى ، لا يمكن لكيسنجر وزملائه الا ان يساورهم القلق حول الربط المحتمل لبلدان الشرق الاوسط بالاسرة الاقتصادية الاوروبية ، ذلك ان الدمج الاقتصادي بينهما من المرجح ان يكون على حساب الرأسمال الاميركي . والى جانب ذلك ، فانه يثير شبح « قوة قارية » اخرى .

القوى التاريخية والاقتصادية تدعم مثل هـذا التطور . فللحكومات الاوروبية اسباب الزاميـة قوية تدعوها الى نشدان علائق وثيقة بالبلدان المنتجة في الشرق الاوسط وافريقيا . فهي تخشى نتائج التدفق الكبير للاموال الى المناطق الاخرى على نظامها النقدي . ولا يسعها ان تشـعر بالاطمئنان الى امدادات مستقرة من المواد الخام حتى تصير اقتصاداتها متبادلة الاعتماد كليا مع اقتصاديات البلدان المنتجة، وحتى تكتسب النخبات العربية —الافريقية مصالح ثابتة في الاسـرة الاقتصادية الاوروبية .

كما ان مجاورة بلدان الشرق الاوسط وافريقيا